الإدارة الإسبانية في أمريكا اللاتينية

(1492-1825)

الدكتور حسام جميل النايف*

الملخص

استطاعت الامبراطورية الإسبانية، بعد إحكام السيطرة على مناطق واسعة من القارة الأمريكية، إنشاء نظام مركزي موحد تابع للعرش الإسباني مباشرة، ومنذ منتصف القرن السادس عشر قسمت الامبراطورية الإسبانية مستعمراتها في أمريكا اللاتينية إلى ولايتين كبيرتين دعيت كل واحدة باسم نيابة الملك، شملت الأولى المكسيك، وعرفت باسم إسبانية الجديدة، والثانية شملت ما تبقى من المناطق، وسميت نيابة ليما، نسبة إلى عاصمة البيرو، وجعلت على رأس كل ولاية حاكماً يسمى نائب الملك، كما قسمت كل ولاية إلى عدة ممالك ومقاطعات عسكرية[1].

في عام 1718م، ونتيجة لتوسع الامبراطورية وامتدادها الواسع ورغبة منها في إحكام السيطرة أكثر على المستعمرات، أنشأت الامبراطورية الإسبانية ولاية جديدة دعيت باسم غرناطة الجديدة .

* قسم التاريخ- كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة دمشق

(1)- نظراً إلى كثرة الممالك والمقاطعات التي كانت تتبع لكل ولاية لن نأتي على تفصيل المناطق التابعة لكل ولاية، وسنكتفي في هذا الملخص بذكر التقسيمات الأساسية لأمريكا اللاتينية التي تشمل على تسع ولايات وممالك كبيرة.

وبشكل عام ومع بداية حكم الملك الإسباني شـــارل الثالـــث(1759-1788م) كانت المستعمرات الإسبانية في أمريكا اللاتينية مقسمة إلى تسع ولايات وممالك هي:

1-ولاية المكسيك 2- ولاية ليما (البيرو) 3- ولاية غرناطـــة الجديـــدة 4- مملكة هافانا 5– مملكة بورتوريكو 6– مملكة غواتيمالا 7– مملكة كراكاس 8– مملكة تشيلي 9- ريو دي بلاتو .

مقدمة:

"يُعدّ اكتشاف القارة الأمريكية وطريق الهند عبر رأس الرجاء الصالح أعظم حدثين وأهمهما في تاريخ البشرية الحديث. ولم تكن حكمة البشر تستطيع أن تتنبأ بأية فوائد أو بأية مصائب للبشرية ستنتج عن هذين الحدثين العظيمين من الآن فصاعداً. فقد قدَّم اكتشاف أمريكا مساعدة جوهرية لوضع أوروبا، فاتحاً سوقاً جديدة لا تُستنفد، أدت إلى توسع ضخم للقوى المنتجة وللدخل الحقيقي والثروة"(2).

بعد مرور أكثر من خمسة قرون لا تزال رحلة كريستوف كولومبوس تثير المزيد من الأسئلة. أسئلة عن أهمية الرحلة. وأخرى عن الرجل الذي قام بالرحلة. هل كانت فتحاً جديداً من فتوح البشرية، أم دماراً مؤكداً لحضارة نقية عاشت وتطورت بعيداً عن آفات العالم القديم؟ وهل كان الرجل بطلاً ومكتشفاً باهراً، أم سفاحاً لا يقل هولاً عن بقية السفاحين الذين عرفتهم البشرية؟ فقد شكّلت الرحلة نهاية زمن وبداية زمن جديد. في العام نفسه (1492م) سقطت آخر قلاع المسلمين في غرناطة، وبدأ عصر الأفول العربي. استولت على غرناطة الملكة إيزابيلا وهي نفسها التي مولت رحلة كولومبوس وباركتها. وبدأت مرثية الغروب للحضارة العربية، وأعلنت الحضارة الغربية انتصارها المدوي، سواء في العالم القديم، عندما حاصرت طرق التجارة التقليدية كلّها باكتشاف الطرق البحرية الجديدة، وتنامت قوتها العسكرية ضد رفاق الحضارة القديمة، أو في العالم الجديد عندما اقتحمت مجاهل الأطلسي حتى اكتشفت قارة كاملة. وهكذا أصبحت ذكرى كولومبوس مناسبة عالمية أكثر منها مناسبة تهم أمريكا أو أوروبا وحدها(3).

(2) تشومسكي، نعوم: 501 سنة الغزو مستمر، دار المدى، طبعة ثانية، دمشق 1999، ص 11.

(3) كولومبوس: بداية الحلم أم ذروة المأساة، دراسة مركز أبحاث مجلة العربي (مجلة العربي، العـدد 400، آذار 1992، ص ص 144-156)، ص 144-145.

أولاً- قضية الاسم:

يقول هيغل: "أمريكا، إذن؟ هي أرض المستقبل، وسوف يتكشف في العصور القادمة شأنها التاريخي، وربما كان ذلك على شكل نزاع بين أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية، إنها بلاد الأحلام لكل أولئك الذين ملوا وضجروا من المتحف التاريخي في أوروبا القديمة. إن ما يحدث هنا حتى الآن ليس إلا صدى للعالم القديم، أو انعكاساً للحياة الغريبة عنها. كما أنها بوصفها أرض المستقبل، لاتهمنا هنا، إن أمريكا لاتهمنا إلا بمقدار ما هي بلد المستقبل، ذلك أن الفيلسوف لا يقوم بالتنبوءات، أمَّا بالنسبة للفلسفة فإن ما يشغلها ليس هو الماضي ولا المستقبل، وإنما هو الحاضر، أعني ما هو موجود، وما له وجود أبدي. وهو العقل، وهذا كافٍ جداً ليشغل اهتمامنا"[4].

مر قرن ونصف القرن منذ قام هيجل بنبوءته عن أمريكا في حين كان ينفي أنه يتنبأ. وما كان مستقبلاً بالنسبة إليه أصبح الآن حاضراً بالنسبة إلى أمريكا، والقارة التي كانت بالنسبة إليه طبيعة "أصبحت تاريخاً" وقد تحدث عن أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية معاً:

- وفي أمريكا الشمالية تقوم حالياً أقوى دولة في العالم.وهي الولايات المتحدة الأمريكية.
- أمَّا أمريكا الجنوبية، تحت الاسم الجديد لأمريكا اللاتينية، فتمثل إحدى أكثر الأفكار دينامكية في العالم المعاصر. وقد وضعتها سلسلة من العوامل في مكان الصدارة من التوقع العام : أول هذه العوامل هو الانفجار السكاني، إذا قبلنا هذا التصنيف التكنولوجي الذي يصف عملية الميلاد، فمعدل تزايد القارة هو أكبر معدل في العالم : 9,2 % سنوياً .وتعدادها الحالي يزيد على 270 مليوناً من السكان، موزعين بصورة

(4) مورينو، سيزار فرناندث: أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، سلسلة عالم المعرفة، قسمان، القسم الأول، العدد 166، آب 1987، ص 303.

غير منتظمة على مساحة 21 مليوناً من الكيلومترات المربعة. هذا الانفجار، الذي يجرى في إطار السياق الاقتصادي المسمى بالتخلف، يهدد بأن يتحول، بدوره، إلى انفجار سياسي(5).

عندما نتحدث عن أمريكا اللاتينية فإن أول شيء يتبادر إلى أذهاننا هو قضية الاسم، فتعبير أمريكا اللاتينية تعبير غير دقيق بصورة واضحة، فما هي أمريكا اللاتينية؟ ولماذا نسميها باللاتينية؟ وهل هنالك أسماء أخرى؟

قيل عن النصف الغربي للكرة الأرضية بأنه قارة الأخطاء، لأن العالم الجديد قد اكتشف وسُمّي خطأً، ومازال يخطئ الكثيرون الذين يحاولون تفسير هذا العالم إلى يومنا هذا. لفقد أخطأ الأوروبيون الذين كانوا يبحثون عن طريق إلى قارة آسية، حينما اعتقدوا أنهم وصلوا إلى الشرق الأقصى، وأطلقوا على هذه الأراضي اسم الهند (Indias) ولكي يصححوا هذا الاسم الخطأ، أضافوا إليه بعد مدة صفة الغربية (Occidental) أو الغربي التي يمكن عدّها أيضاً صفة خاطئة، وأصبحت تعرف باسم الهند الغربية (Indias Occidental) لكي تتميّز عن الهند الشرقية.

كما أُطلق على الأراضي التي زارها كولومبس (خطأً أيضاً) اسم أمريكا تكريماً للبحارة الإيطالي أمريكو فيسبوتشي (Américo Vespucio) الذي يعدُّ أحد الأوائل الذين حددوا معالم هذه الأراضي بوصفها جزءاً لا يتجزأ من العالم الجديد، كما أنهم أخطؤوا أيضاً على الصعيد العالمي في تحديد كلمة أمريكا على أنها فقط جزء من القارة، فقد كانت أمريكا أساساً خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر هي ذلك العالم الجديد الذي يحتله الإسبان والبرتغاليون منذ القرن السادس عشر حتى نهاية القرن التاسع عشر. فعندما تقال كلمة أمريكا في شبه الجزيرة الإيبيرية كان يقصد بها، في الواقع، الأراضي الإسبانية الواقعة في نصف الكرة الغربي، وحالياً نجد أن كلمة

(5) المرجع نفسه، القسم الأول، ص 13-14.

أمريكا تعرف بها على المستوى العالمي الولايات المتحدة الأمريكية، وهكذا نجد أنفسنا مستمرين في الخطأ.

لو دققنا جيداً باللغة الإسبانية لوجدنا العديد من الاسماء التي استخدمت للتعبير عن هذه المنطقة، ومن أهمها أمريكا الإيبيرية (Ibero-américa)، أمريكا الإسبانية (américaHispano)، أمريكا الهندية (Indo-américa)، أمريكا الجنوبية (sud-américa)، أمريكا اللاتينية (América-latina)، ولو دققنا الملاحظة في هذه الاسماء لوجدنا فيها أخطاء كثيرة :

- فأمريكا الإيبيرية اسم غير دقيق، لأنه يستبعد دولتين هما سورينام وهاييتي.
- أمَّا بالنسبة إلى أمريكا الإسبانية فهو لا يأخذ بالحسبان الأغلبية الساحقة من الهنود (السكان الأصليون في القارة)، والزنوج، والأجناس الأخرى التي تكون اليوم شعوباً تغلب عليها الصفة السائدة وهي صفة المهجنين أو الملونين أو ذوي الأصول الهندية الأمريكية أو سكان المستعمرات البرتغالية (البرازيل).

ويؤكد عدد كبير من المؤرخين أن الميراث الثقافي الإسباني تحديداً هو الذي وحد العناصر المتنافرة جداً الموجودة التي تشكل هذا الواقع في العصر الحاضر، أي أمريكا الإسبانية المهيمنة أو الملونة.

- أمَّا بالنسبة إلى لفظ أمريكا الجنوبية فقد استخدم في الأرجنتين منذ انعقاد مؤتمر توكومان (Tucuman)[6] عام 1816م، وهذا اللفظ بما يعنيه من ضيق في المساحة لا يتفق مع المساحة الشاسعة للمنطقة.

(6) مؤتمر توكومان (Tucuman): عقد هذا المؤتمر في العاصمة الأرجنتينية بوينس إيـــرس، وكـــان الهدف الأساسي من انعقاده إيجاد صيغة مشتركة للقارة الأمريكية المستقلة، وظهرت خلاله خلافات في تسمية القارة ومن أهم الأسماء التي ظهرت في هذا المؤتمر هو أمريكا الجنوبية.

- أمَّا بالنسبة إلى مصطلح أمريكا الهندية فقد دافع عنه بشكل أساسي أصحاب الأرض الأصليون (أو من تبقى منهم)، فقد عدَّ المدافعون عن أمريكا الهندية أن هذا اللفظ يدعو إلى المطالبة بالتفاؤل، إذ إنَّه يتضمن الهنود والإسبان والبرتغاليين والزنوج والملونين كلّهم، كما يتضمن كل الجماعات العرقية التي أتت من أوروبا وإفريقية والشرق، كما أن هذا المصطلح لا يعطي استثناءً ولا أولوية لكل ما هو هندي، لأن مقطع إندو الذي يدخل على كلمة أمريكا الذي يعني هندي، ليس مشتقاً في هذا المقام من كلمة هندي، بل مشتق من اسم القارة، والذي كان مستخدماً منذ عام 1492م، خلال مدة طويلة من الزمن امتدت حتى القرن الثامن عشر. والذين يفضلون إطلاق هذا الاسم إنما يفضلونه لإدراج الأجناس جميعها تحته، وكذلك الوقوف على الإسهامات الثقافية المختلفة للمراحل التاريخية[7].

ونأتي الآن إلى مصطلح أمريكا اللاتينية، فما هي أمريكا اللاتينية؟ ولماذا نسميها اللاتينية؟[8].

من بين الدول التي حققت اكتشاف القارة الجديدة وغزوها واستعمارها كانت ثلاثً منها لاتينية لغوياً، وهي إسبانيا والبرتغال وفرنسا، ومن ثمَّ فإن أشمل مفهوم

(7) رودريجث، أوخينيو تشانج: ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ترجمة عبد الحميد الغلاب وأحمد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1997، ص 19-20.

(8) مصطلح اللاتينية : لو بحثنا عن اللاتينية لوجدنا أنها بدأت في الليسيوم، وهو إقليم صغير مجاور لروما، وأخذت تنمو في دوائر متحدة المركز على طول التاريخ، ضمت أولاً إيطاليا كلها ثم اتسعت بعدها للجزء من أوربا الذي استعمرته الامبراطورية الرومانية، لتعود فتقتصر على البلدان والمناطق التي تتحدث بلغات مشتقة من اللاتينية، ثم لتنتقل أخيراً إلى القارة الأمريكية التي كانت الحلقة الرابعة في ذلك التوسع المدهش. لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع انظر : مورينو، سيزار فرنانديث: مرجع سابق، ص 14.

تاريخي للإقليم يجب أن يضم أراضي القارة الجديدة كلّها التي سكنتها تلك القوى، المعارضة في مجموعها لأمريكا الأنغلوسكسونية المتمركزة في الشمال[9].

بالنسبة إلى تعبير أمريكا اللاتينية فقد ظهر أول مرة في كتابات المؤرخين الفرنسيين في القرن التاسع عشر، وشاع استخدامه إلى وقتنا الحالي[10].يقول إستواردو نوبيث: " في أواخر القرن التاسع عشر يبدأ التمييز بين ما هو أمريكي شمالي، وما هو أمريكي لاتيني بسبب نشوء الظاهرة السياسية لاستقلال الشمال"، ويبدأ بين الكتاب الفرنسيين قبل كل شيء استخدام تعريفات جديدة لأمور أمريكا غير السكسونية، مثل دول أمريكا اللاتينية، وشعوب أمريكا اللاتينية، وديمقراطية أمريكا اللاتينية. وهذه التعبيرات الجديدة تميل إلى مفهوم هو في وقت واحد عرقي، وثقافي، وسياسي، لكن حدث أنها جاءت لتحل محل تعبيرات أخرى ذات مضمون جغرافي صرف مثل أمريكا الجنوبية، وأمريكا الوسطى، وأمريكا الاسترالية.

وهكذا ينشأ الخلط الأول حول أمريكا اللاتينية، ففي المفهوم الجغرافي يظل التعبير مقتصراً على شبه القارة الجنوبي، الإيبيرو أمريكي بصورة أساسية (أي الإسباني والبرتغالي)، أمَّا المفهوم الجديد فيتسع كذلك للفرنسيين المقيمين في أمريكا الشمالية.

وكما هو واضح فإن المحصلة التي تؤدي بنا إليها فكرة اللاتينية تتجاوز تلك الفكرة ذاتها، وإذا حاولنا الآن الرجوع إلى الوضع الأصلي للإنسان الأميركي، فإن الصفة في تعبير أمريكا اللاتينية تذوب في السياق التاريخي، ونجد أنفسنا غارقين في الجوهر البشري الخاص للموصوف، الذي من الواضح أنه أسبق مما هو أوروبي وغريب عنه. وبذلك نجد أنفسنا في مواجهة الثقافات العظيمة السابقة على الاكتشاف،

(9) المرجع نفسه، ص14.

(10) رودريجث، أوخينيو تشانج: ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ص 20.

وفي مقدمتها ثقافة أمريكا الوسطى والأنديز التي قضى عليها غزو القرن السادس عشر، لكنه في الوقت نفسه منحها حياة جديدة بقدر ما حوّلها إلى شرط ضروري لعملية أوروبية، كما أثرت هذه العملية في سكان أمريكا المتبقين، الذين نالوا في تلك المرحلة درجات أدق من التطور، أولئك السكان الذين يطلق عليهم كجنس اسم الهنود الحمر من قبل المكتشفين بدافع الخطأ الجغرافي الهائل الذي حملهم على الاعتقاد بأنهم وصلوا إلى آسية، وتحديداً الهند(11).

فضلاً عن ذلك، يجب التأكيد، داخل أمريكا اللاتينية الحالية، على وجود عالم آخر غير لاتيني بصورة جذرية :هو الإفريقي. وطبقاً للنظرية المسماة "من القارات إلى الانجراف" فإن أمريكا كانت تشكل، في عصر جيولوجي سحيق، وحدة عضوية مع إفريقية، وبانفصالها إثر ذلك بفعل القوى الجوفية في كوكبنا، اكتسبت ذاتيتها كقارة. وفي تلك المغامرة الرائعة، انتزعت القارة الأمريكية نباتات وحيوانات إفريقية فقط، دون بشرها.

كذلك قدم الأفارقة بعد ذلك إلى أمريكا منذ أقدم العصور التاريخية. ففي الكاريبي الأخضر الشفاف، في ذلك البحر الذي يكشف في دعة عن حميميته، وفي تلك الجزر التي ترصعه بإطار ثمين مزدوج من الطحلب والرمل، جرت خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الظاهرة الفظّة لتجارة العبيد "استخدام البشر من لون معين كأدوات من جانب بشر من لون آخر". اِصطِيدَ ونقل مئة مليون من إفريقية، لم يصل سوى ثلث عددهم إلى وجهتهم الأمريكية ورغم ذلك أدت هذه العملية إلى النتيجة المدهشة التي يمكننا الآن رؤيتها : فقد أضاف العبيد إلى سادتهم الكثير، فنقلوا إليهم كل ما استطاعوا الحفاظ عليه من ثقافتهم وعلمو هم الكثير من الأمور، من الغناء والرقص حتى النضال من أجل حريتهم.

(11) مورينو، سيزار فرناندث: أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات ، ص 15.

وفي الوقت نفسه فإن ما هو إفريقي في أمريكا اللاتينية يصبح هو السمة المشتركة التي تربطها مع أمريكا الأنغلوسكسونية، إذ إنَّ ذلك الجنس وثقافته هما اللذان يتوليان اللحمة بين جزئي شبه القارة اللذين يشكلان الأمريكتين. فجزر الكاريبي وأمريكا الوسطى تمثل انتقالاً بين أمريكا الجنوبية، اللاتينية بصورة نموذجية، وأمريكا الشمالية، الأنغلوسكسونية بصورة نموذجية. في هذه المنطقة لا يصبح دقيقاً حتى ذلك التحديد المتبادل والأساسي بين تلك الثقافتين المستعمرتين، إذ إنَّ كلتيهما قد تعايشتا، ومازالتا تتعايشان فيها.

وأمريكا الإفريقية هذه محسوسة بقوة، لا في هذه المنطقة الوسيطة فحسب، بل كذلك في حدودها مع المنطقتين الأخريين، أي شمالي أمريكا الجنوبية، وجنوبي أمريكا الشمالية. بحيث تمثل هذه البينية، (الوضعية الوسطى) في الآن ذاته حاجزاً وطريقاً معاً كما تمثل في الحالات كلّها إثراء للنسق الكلاسيكي الذي نشأ منه مفهوم أمريكا اللاتينية نفسه: فالأمريكتان المتباعدتان تتقاربان في ثقافة ثالثة لدرجة أن تشكلا، سوياً، أفرو أمريكا واحدة، هي صلة الوصل التي تتجه إلى توحيد الأمريكيات الجغرافية الثلاث ثقافياً[12].

ثانياً- الإدارة الإسبانية (إدارة الهند الغربية):

فكر الإسبان في طريقة حكم البلاد الجديدة قبل احتلالهم الفعلي لها. وتعدُّ القرارات التنظيمية التي أصدرها كولومبس في 29 أيار 1493م أولى الخطوات المهمة في إدارة الهند الأمريكية والجزر الملحقة بها. (بما في ذلك جزر الفيليبين التي اكتشفها ماجلان فيما بعد، أي في عام 1521م وسماها بالفيليبين إكراماً لملك إسبانيا فيليب الثاني قبل إلحاقها بإسبانيا عام 1573م).

(12) المرجع نفسه، ص 16-17.

كان الإسبان يرغبون في النظر إلى البلاد الجديدة التي يستولون عليها كممتلكات مكتسبة بالقوة تابعة لتاج قشتالة الإسباني، تدل على ذلك عبارة (ممالكنا خلف البحار) التي كانوا يستعملونها بكثرة. ولعل التعبير البرتغال "مقاطعات ما وراء البحار " الذي استخدمه سالازار منذ عام 1951م يعود إلى التعبير آنف الذكر. أمَّا المفهوم الحالي للاستعمار (Colonia) فلم يكن معروفاً آنذاك في اللغة الإسبانية، وإنما تأخر انتشاره وقتاً طويلاً قبل أن يدخله البوربونيون في القرن الثامن عشر في الاستعمال السياسي(13).

بعد أن انتهت عملية الغزو الإسباني، بدأت مرحلة الاستعمار التي شملت القرنين السابع عشر والثامن عشر، واستمرت حتى فجر القرن التاسع عشر. وخلال هذه المرحلة تولى على حكم شبه الجزيرة الإيبيرية كل من : فيليب الثاني (1598-1621م)، وفيليب الرابع (1621-1665م)، وشارل الثاني (1665-1700م) من البيت النمساوي. وفيليب الخامس (1700-1746م)، وفرديناند السادس(1746-1759م)، وشارل الثالث(1759-1788م)، وشارل الرابع(1788-1808م)، وفرديناند السابع (1808-1833م) من البيت البروربوني.

على الرغم من أن الوثائق التاريخية التي تعالج تاريخ القارة الأمريكية في القرن السابع عشر لم تكن كثيرة، وكانت غير معروفة لكثير من المؤرخين، وشملت مخطوطات تعود إلى القرن السادس عشر، فإن دراسة عن الاستعمار الإسباني في القارة التي شملت النواحي كلّها السياسية والتشريعية والاقتصادية والترتيبات الإدارية لم تكن مستحيلة.

مع نهاية عهد فرديناند-إيزابيلا (1474-1512م)، وعلى الرغم من أن الملكة إيزابيلا قد أوصت أن يُعَامَلَ السكان الأصليون للمستعمرات في الأطلسي

(13) محلي، ساطع: أمريكا اللاتينية، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق 1974، ص 85.

معاملة طيبة، فإن خلفاءها شارل الخامس (1516-1556م)، وابنه فيليب الثاني (1556-1598م)، قاما بإلغاء الحريات والحقوق كلّها التي كان السكان الأصليون يتمتعون بها، على حساب استبدادهم، كما أبادوا الأساس الشعبي للوحدة الوطنية القومية للقارة الأمريكية. وكان الأمريكيون قد اعتمدوا على هذه الحقوق الوطنية للمطالبة بالاستقلال، الذي كان شارل الخامس وابنه فيليب الثاني قد حرماهم منه.

وعلى الرغم من ذلك، فإن شارل الخامس وابنه فيليب الثاني كانا أكثر ملوك الأسرة النمساوية حظاً وقدرة على التأثير في تاريخ القارة[14].

أعلن تاج قشتالة للملوك والدول امتلاكه للعالم الجديد في عام 1519م استناداً إلى منحة الكرسي البابوي وإلى الحقوق الأخرى، وبشكل يجعل من هذا التاج صاحباً للهند الغربية، وللجزر والقارات الموجودة في البحر المحيط، سواء التي اكتشفت أو التي ستكتشف فيما بعد، وجاء عصر الاستعمار بعد عصر الغزو، أي عصر الاستغلال لإتمام عملية الفتح، والوصول بالوسيلة إلى الهدف. ولم يكن الإسبان مستعدين في هذا الوقت لإدارة امبراطورية شاسعة، وبهذه الطريقة، لكنهم تمكنوا رغم ذلك من حكمها وإدارتها، بالسيف والنهب وبالقتل، وبغيرها من الوسائل التي كانت سهلة، وأسهل بكثير من إدارة شعوب غلبت على أمرها وحكمها.

ولم يتورع الإسبان من اتخاذ أي وسيلة للوصول إلى أهدافهم البدائية التي كانت تتلخص في الحصول على الذهب وشحنه في السفن. ولم يتردد الحكام الإسبان الأوائل، قانوناً أو فعلاً، أمام وخز ضمائرهم، بل كانوا يعملون، ويعملون لأنفسهم إن لم يكونوا يعملون من أجل الملك. فكانوا يقسمون الكنوز بين الجنود، ويقسمون الأرض بين الضباط، وإذا قاموا بأي مجهود للإدارة، فإن هذا المجهود لم يزد على كونه نقل نظم إسبانيا إلى أمريكا كما هي، فكانوا يعينون القضاة والقادة، كما لو كانوا

(14) Hugo D. BARAGELATA, Histoire De L'Amérique Espagnole, Avec 2 cartes dans le texte, Librairie Armand Colin 103, Boulevard Saint-Michel, Paris 1936, p 133.

في الجزيرة الخضراء، أو في قادس. وحلّت السلطة الملكية مع الزمن محل أهواء الإقطاعيين والغزاة، وإن كانت العملية قد تمت على مراحل، وأنشأت هذه السلطة الملكية حكومة مباشرة، كما كانت تباشرها من إسبانيا، وتنفذ تعليماتها في العالم الجديد[15].

1- الهيئة المركزية (السلطة التشريعية):

أ- المجلس الملكي الأعلى لحكم الهنود(Consejo realy supremo de las Indias):

قامت إلى جانب سلطة الكنيسة المطلقة في البلاد اللاتينية التي حكمتها إسبانيا، "الدائرة الخاصة" التي كانت تمثل حكم البلاط القشتالي المباشر. ثم انبثق عنها ما يسمى بالمجلس الملكي الأعلى لحكم الهنود. الذي بقي طوال قرنين من الزمن يقبض على السلطة في البلاد قبل أن يعاد تنظيم الإدارة عام 1680م بواسطة جملة من قوانين الحكم الجديدة في نطاق دستور استعماري شامل يقع في تسعة مجلدات "Relopiacion de leys des las India" ويتضمن تفصيلات إدارية كثيرة وتنظيمات تتناول العلاقات العامة بين الناس، شبيهة في بعض أجزائها بالتشريعات الحديثة المستعملة في الوقت الحاضر(مثل النص على تحديد ساعات العمل في اليوم ومنع عمل الأطفال، وعدم إساءة استعمال الخمور، إلخ...)[16].

واصل الملوك الإسبان جهودهم الكبرى ليخضعوا العالم الجديد لمركزيتهم ولسلطتهم الملكية المطلقة، ونظراً إلى أن التاج نفسه يملك الهند وقشتالة لذا يجب أن

(15) يحيى، جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، سيطرة أوروبا على العالم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د. ت.، ج4، ص 222.
(16) محلي، ساطع: أمريكا اللاتينية، ص 90.

تتشابه القوانين ونظام الحكم ما أمكن التشابه، ومن هذا المنطلق أنشئ في الهند الغربية تدريجياً جهاز كامل من المؤسسات يشبه -إلى حد كبير- نظام الحكم القشتالي[17].

أنشئ مجلس الهند إلى جانب المجالس الملكية الأخرى(كمجلس قشتالة، ومجلس أرغونه، ومجلس الحرب...). أُنشِئَ عام 1511م من قِبل الملك فرديناند الكاثوليكي، وأخذ شكله التنظيمي النهائي في عهد خليفته شارل الأول عام 1524م بعد ثلاثة عشر عاماً من إنشائه[18]. وكان عبارة عن وزارة فريدة من نوعها، تمارس سلطتها القضائية والتشريعية على شؤون المستعمرات الإسبانية جميعها في القارة الأمريكية التي شملت الشؤون المدنية والكنسية والعسكرية والتجارية[19].

وحلَّ هذا المجلس محل المراقبة العامة لشؤون الهند التي كانت قد أنشئت بسرعة بعد رحيل كولومبس الأول للعالم الجديد. وكان هذا المجلس يخضع لمستشار أعلى لشؤون الهند، وكان يعدُّ القوانين، ويُعدُّ محكمة استئناف، ويتدخل في قرارات الكنيسة المتعلقة بالعالم الجديد كلّها. فكانت له في واقع الأمر جميع السلطات التشريعية والقضائية وحتى الدينية[20]. وكان موقع هذا المجلس في مدريد، وباستثناء الملك، لا أحد يحق له التدخل في مداولات أو قرارات مستشاري هذا المجلس .

تألف مجلس الهند من عدد من الشخصيات المهمة، كثير منهم تولى مناصب مهمة في المستعمرات الأمريكية. وكانت القوانين واللوائح المعدة من قبل هذا المجلس

(17) كروزيه، موريس: تاريخ الحضارات العام، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط2، 1987، الجزء الرابع (القرن السادس عشر والسابع عشر، تأليف رولان موسنييه)، ص 504.

(18) Pierre CHAUNU, Histoire de l'Amérique Latine, Dixième édition corrigée, Paris 1988, p.24

(19) Hugo D. BARAGELATA, Op.Cit, p 135.

(20) يحيى، جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر ، ج4، ص 223-224.

التي ينبغي تطبيقها، يجب أن تحصل أولاً على موافقة الملك، ومن ثم موافقة ثلثي الأعضاء في هذا المجلس.

وكان من مهام هذا المجلس أيضاً اختيار المرشحين للوظائف المدنية والكنسية في المستعمرات، وتأمين أكبر قدر من الضمان للسير السلس للمسؤولين جميعاً في المستعمرات. كما تولى هذا المجلس مهمة الاطلاع على التقارير العامة والسرية الخاصة بسير العمل في المستعمرات[21].

ب- غرفة تجارة الهند:

منذ عام 1503م، تأسست في إشبيلية غرفة تجارة الهند التي أشرفت على تجارة الهند كلّها، وسهرت بصورة خاصة على جمع الحصة الملكية التي حُدِّدَتْ بعشرين بالمئة من قيمة المعادن الثمينة. وسلمت القباطنة إيصالات بهذه الضريبة[22].

وفي عام 1768 نُقِلَ مقر غرفة التجارة إلى قادش، ثم أُلغِيَتْ عام 1791م نتيجة تحرير التجارة في الموانئ الإسبانية عام 1778م.

وكان الهدف من إنشائها تنفيذ القوانين ذات الصلة بالتجارة مع المستعمرات في القارة الأمريكية، إِذْ كانت تسجل السفن الداخلة والخارجة من إسبانية، وتحكم في المنازعات التجارية والجنائية المختلفة التي تنشأ بين التجار في المستعمرات وتجار البلد الأم، وكان من حقها التدخل في حال أن الجرم ارتُكِبَ في المستعمرات، أو في طريق العودة، أو الذهاب من المستعمرات وإليها [23]

وكانت هيئة التجارة هي التي تشرف على عملية التبادل التجاري بين إسبانيا ومستعمراتها، ولها في إشبيلية اختصاصات إدارة الهجرة، وتشرف على مدرسة

(21) Hugo D. BARAGELATA, Op.Cit, p 135.
(22) Pierre CHAUNU, Op.Cit, p 24.
(23) Ibid, p 135.

بحرية، وعلى محكمة تجارية، وغرفة للقناصل. وكانت هذه الهيئة آلة إدارية ثقيلة تخزن البضائع، وتشرف على عمليات الشحن والتفريغ، وتحصل الخُمس الخاص بالتاج. وكانت عبارة عن وزارة لتجارة الهند، ويشرف رئيسها على أمن القوافل في المحيط الأطلسي، وتستلم خزانته الرسوم الجمركية على البضائع، ويستلم حصص ورسوم أصحاب الشركات وأصحاب السفن الخاصة نظير حمايته لتجارتهم. وكان هناك موظف عام يعينه القصر، ويشرف على قوافل الهند وأساطيلها، ويرسل إلى الإدارات العامة في العالم الجديد كل ما يلزمها من الزئبق اللازم لتنقية المعادن، إلى الأسلحة اللازمة [24].

وكانت هيئة التجارة مؤسسة خاضعة للدولة، وتشرف على العمليات الفردية الخاصة. فكانت تشرف على العملية دون أن تقوم بتنظيمها، بل تترك للموردين والمصدرين في قادس وإشبيلية اتخاذ القرارات اللازمة لهم، لكن إشرافها كان عبئاً ثقيلاً على التجار، الذين كانوا يحاولون التهرب من دفع الرسوم والضرائب فلم يقتصروا على خفض قيمة التجارة المفرغة أو المشحونة في تصريحاتهم الرسمية، بل بدأوا في عمليات التهريب، ووجدوا في داخل هيئة التجارة من يشاركهم في هذه العمليات، وبدأت السفن تفرغ حمولتها في البحر قبل دخولها إلى إشبيلية، وتشحن بضائع أخرى بعد خروجها من الميناء. كما اتصلوا بمهربين أجانب كانوا يقومون بنشاط عجيب في خلجان العالم الجديد. وخرج ثلث تجارة العالم الجديد من أيدي هيئة التجارة نتيجة لهذه العمليات[25].

(24) يحيى، جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ج4، ص 241.
(25) المرجع نفسه، ص 242.

قنصلية الهند:

أُنشِئَتْ عام 1543م في إشبيلية، ونقلت أسوة بغرفة تجارة الهند إلى قادس عام 1718م. وتألفت هذه القنصلية من ثلاثة أعضاء من غير المحامين، ينتخبون سنوياً من قبل جمعية نقابة العاملين في مجال الشحن بين إسبانيا والمستعمرات الأمريكية، ولم يسمح للمحامين بالترافع أمام هذه القنصلية. وكان القناصل يحاولون حلّ المشكلات بين العاملين بالشحن بسرعة ومنطقية وبشكل إنساني واستناداً إلى القوانين. وكانت أحكامهم شفهية. وبشكل عام كانت مهمة هذه القنصلية فضّ النزاع بين التجار العاملين بمجال الشحن بين إسبانيا ومستعمراتها في الهند(26).

2- السلطة التنفيذية:

إن المهمة الرسمية التي كُلِّف بها الحكام العسكريون في البداية كانت الاستعمار، فقد شرع الإسبان منذ بداية الغزو يشيدون القرى والبلدان وإدارات الحكومة الإسبانية التي كان لها امبراطورية لا تغيب عنها الشمس من المدن والأقاليم الواقعة فيما وراء البحار بسياسة الحكم المطلق، إذْ أنابت عنها في العالم الجديد أولاً حكاماً عسكريين، ثم نواباً للملك، ثم قادة من العامة بعد ذلك. وكان الحكام العسكريون غالباً ما يدفعون تكاليف الحملة الغازية مقابل جزء من الثروات والأراضي في الأقاليم التي كانوا يخضعونها باسم الملك. وكانت الأقاليم التي يديرها الحكام تقسم إلى أحياء، كل حي يديره قاضٍ(27).

أمَّا السلطة التنفيذية فكانت في العالم الجديد، وقد نظمت على أساس حكم "الأنتيمانتو" أو حكم البلديات في قشتالة، وكان هذا النظام يتلخص في إنشاء مجلس خاص في كل إقليم، يتشكل من ثلاثة أو أربعة مسؤولين، ويجتمع في أول الأمر

(26) Hugo D. BARAGELATA, Op.Cit, p 136.

(27) تشانج رودريجث، أوخينيو: ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية ، ص 109.

كمحكمة، ثم أصبح يجتمع بعد ذلك كمجلس. وكان الحاكم هو الذي يرأسه ويستشيره. وفي أعلى القمة نائب الملك، أو بمعنى أدق، نائبا الملك. الأول في المكسيك، والثـــاني في ليما، وكان كل منهما يسيطر على نصف العالم الجديد، بخـــلاف جـــزر الأنتيـــل، وهافانا، التي كانت لها قيادة عامة خاصة بها.

وكانت هناك شخصية واحدة، هي نائب الملك، يعينها الملك، وتمثله وتهيمن على شؤون الحرب والسلم والأرواح، وكان نائب الملك يعين كبار الموظفين، ويشرف على الاقتصاد والمالية، ويراقب الكنيسة[28].

أ- التقسيمات الإدارية:

استطاعت الامبراطورية الإسبانية، إنشاء نظام مركزي موحد تابع للعرش الإسباني مباشرة، وتمكنت من خلاله التحكم بالمقدرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية كلّها، إذْ وضعت نظاماً بسيطاً في ظاهره، ومعقداً في واقعه، يقوم على تمركز السلطة في المستعمرات بيد أشخاص يختارهم العرش الإسباني، ويتبعون بولائهم للملك مباشرة .

- **نيابة الملك** (La Vice-Royauté):

منذ منتصف القرن السادس عشر قسمت الامبراطورية الإسبانية مستعمراتها في أمريكا اللاتينية إلى ولايتين كبيرتين، دعيت كل واحدة باسم نيابة الملك شملت: الأولى: المكسيك عام 1535م، وعرفت باسم اسبانية الجديدة. والثانية: شملت ما تبقى من المناطق وسميت نيابة ليما عام 1545م[29]، نسبة إلى عاصمة البيرو، وجعلت

(28) يحيى، جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ج4، ص 224.
(29) Pierre Chaunu, Op.Cit, p 27.

على رأس كل ولاية حاكماً يسمى نائب الملك[30]. كما قُسمت كل ولاية إلى عدة ممالك ومقاطعات عسكرية. ومع بداية القرن الثامن عشر،ونتيجة لتوسع الامبراطورية وامتدادها الواسع، ورغبة منها في إحكام السيطرة أكثر على المستعمرات، أنشأت الامبراطورية الإسبانية ولاية جديدة دعيت باسم غرناطة الجديدة عام 1739م. وفي أواخر القرن الثامن عشر أنشئت ولاية رابعة دعيت باسم ريو دي بلاتا عام 1776م.

ومن الملاحظ أن دول أمريكا اللاتينية جميعها كانت تحكمها (ليما) وقتاً طويلاً أكثر من المدة التي تبدأ من الاستقلال إلى اليوم[31].

- **الممالك ودور القيادة الحربية العامة**:

أقيمت في العالم الجديد نظم حكم سياسية شبيهة بالبلاد الأم، فأنشئت الممالك التي يحكمها ملوك محليون(حكام) وكلاء للملك (كانت هناك ست ممالك محلية من أهمها مملكة غرناطة الجديدة التي تألفت من كولومبيا وبوغوتا، ومملكة ريو دي بلاتا مع بوينس إيرس).

كما استحدثت إلى جانب الممالك الرئيسة أربع دور للقيادة الحربية العامة، وهي كوبا وجواتيمالا اللتان كانتا تقعان تحت السلطة القضائية للمكسيك، أمَّا فنزويلا فكانت تقع تحت السلطة القضائية في (ليما) أولاً ثم في (بوغوتا) بعد ذلك، أمَّا تشيلي فكانت تقع تحت السلطة القضائية لـ(ليما).

(30) وكان لقب نائب الملك: سعادة الدوق النائب والقائد العام، ورئيس الديوان الملكي، والشؤون المالية مراقب المفوض الملكي للشؤون الدينية والمدنية، والمدير العام لمحكمة التعدين المحافظ، نائب راعي الملكية ، وما إلى ذلك. انظر:

AHN, Consejos, leg. 20343, Exp. 3/159, f.74 r

(31) يحيى، جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ج4، ص 224.

- **المحاكم العليا الملكية** (audiencia):

أُسِّسَتِ المحاكم العليا الملكية على غرار المحاكم العليا في الوطن الأم، وكانت مهمتها القيام بأعمال إدارية مهمة إلى جانب أعمالها القضائية ومراقبتها الملوك المحليين في ممالكهم. ويشكل هيئة المحكمة الملكية ثمانية من القضاة، فضلاً عن العمداء الذين كانوا يساعدون ويتشاورون ويراقبون السلطات السياسية. والمحكمة التي تقع في مدينة رئيسة لولاية من الولايات، كانت تتولى مهام الحكم حينما يتوفى نائب الملك، أو حين يُعزلُ، بمعنى أنها كانت تمارس منصبه إلى أن يصار إلى تعيين بديل عنه[32].

كانت هذه المحاكم مسؤولة عن اختيار الموظفين المسؤولين عن القضاء وتعيينهم، وممارسة نوع من الرقابة على مجالس البلديات والقناصل والحكام ونواب الملك. كما يحق لها التدخل في النزاعات القائمة بين المحاكم المدنية والكنسية. وكان لنائب الملك الحق في ترؤس المحكمة العليا، لكن لا يحق له التصويت على قراراتها، وفي حال غيابه يحل محله العضو المنتخب، وقد كان لنائب الملك في بداية الاستعمار حق التصويت[33].

كانت جلسات الاستماع التي تجريها هذه المحكمة بمنزلة حاجز أمام استبداد نواب الملك، لأنها كانت تنظر في الطعون المقدمة ضد قراراتهم فضلاً عن قرارات رجال الشرطة والحكومة، ويمكن للمحكمة في حالات تدخل الحكومة أو نائب الملك في شؤونها اللجوء إلى المجلس الأعلى للهند لفضِ النزاع.

(32) voyage en Araucanie, au chili au Pérou et dans la Colombie, ou relation historique et descriptive d'un séjour de vingt ans dans l'Amérique du sud suivie d'un précis des révolutions des colonies espagnoles de l'Amérique du sud, traduite de l'anglais de w. b. stevenson; par setier, tome I., paris, 1828, p 179.
(33) Ibid, p 179-180.

وبسبب حساسية مراكز المسؤولين في هذه المحاكم وأهميتها فُرضت عليهم مجموعة من المحظورات، على سبيل المثال، عدم الزواج إلا بإذن خاص، وعدم تبديل أماكن سكنهم، أو حضور حفلات الزفاف والولائم والمآتم، أو إقامة علاقة صداقة مع شخصيات لها وزنها في المجتمع أو أصحاب النفوذ أو الأغنياء، فضلاً عن منعهم من ممارسة الأعمال التجارية أو رعايتها [34].

وتعدُّ محكمة (سانتو دومينيغو) التي شيدت عام 1524م أول محكمة في العالم الجديد، ثم أنشئ بعد ذلك بمدة ثلاث عشرة محكمة أخرى في كل من المكسيك وجواد الاخارا وجواتيمالا وبنما وكوبا وبوجوتا وكيتو وكاراكاس وليما وكوثكو وسانتياجو دي شيلي وتشاراكاس وتشوكياكا وبوينيس إيرس[35].

- **المجالس المحلية** (Cabildos):

تعود أصول هذه المجالس إلى إسبانيا، إِذْ كانت مستخدمة في مدن كثيرة من شبه الجزيرة الإيبيرية. وتعدُّ إحدى أهم المؤسسات الإسبانية في أمريكا، وأكثرها جدارة بالدراسة، على الرغم من سوء نية الرجال الذين شغلوا منصب أعضاء في هذه المجالس والتضارب في المصالح بينهم وبين من يمثلونهم، وتعود أهمية هذه المجالس إلى أنها المؤسسات الوحيدة التي لا يشترط لأعضائها أن يكونوا قد ولدوا في إسبانيا، ويمكن أن تضم عدداً من السكان المحليين، إِذْ يمارسون وظيفتهم ممثلين للشعب. وقد أعطت هذه المجالس بداية لولادة حرية المواطنين، إِذْ أنشئت من أجلهم.

تفاوت عدد أعضاء هذه المجالس تبعاً لحجم المنطقة التي يمثلونها، وراوحوا بين 6-12 عضواً(مراقباً)، ينتخبون سنوياً في مقر المنطقة أو الإقليم، يضاف إليهم

(34) Hugo D. BARAGELATA, Op.Cit, p 136-137.

(35) كروزيه، موريس: تاريخ الحضارات العام، ج4، ص 505.

قاضيان محليان. وينبغي من حيث المبدأ أن يكون المرشحون من أصحاب المكانة الرفيعة في المجتمع.

والهدف الأساسي من إنشاء هذه المجالس هو إدارة المصالح القضائية والمدنية والجنائية والمحلية للمنطقة التي يمثلونها. وكانت هذه المجالس مسؤولة عن الشؤون المحلية بشكل عام، فضلاً عن إشرافها على عمليات تطوير المجتمع (صيانة الطرقات، وتطوير عمليات الصرف الصحي، ورعاية شؤون الأطفال الأيتام والمشردين).

ولكن للأسف، ونتيجة تفاوت المسافة بين المناطق الأمريكية ومراكز الحكم وصعوبة الإشراف المباشر عليها، تعرضت هذه المجالس للفساد، وطغت عليها المصالح الشخصية، وتفشت الرشوة بشكل واضح بين أعضائها، وأصبح من السهل شراء مناصب الأعضاء في هذه المجالس بسهولة؛ مما أدى إلى فقدانها أهميتها في المجتمع المحلي[36].

ب-مجلس الحكم:

وهو يمثل دور السلطة التنفيذية، وقد تألف بشكل عام من نائب الملك أو القائد العام، ورئيس، وأربعة مستمعين يعدون القرارات، يجتمع في أول الأمر كمحكمة، ثم أصبح يجتمع بعد ذلك كمجلس[37]. أنشئ المجلس الأول في إسبانيولا في عام 1511م، وأنشئ مجلس ثانٍ في مكسيكو في عام 1527م؛ وثالث في بنما في عام 1536م؛ والرابع في ليما في عام 1544م. وعين إلى جانب المجلس ضابط عام يتولى قيادة الجيوش، ويؤمن الدفاع، ويسهر على تنفيذ القوانين والقرارات القضائية والإدارية. وقسم نطاق صلاحية المجلس أو الضابطية العامة إلى حكومات يتولى السلطة فيها الحكام، وقسمت الحكومات إلى محاكم يتولى السلطة فيها القضاة؛ وقسمت

(36) Hugo D. BARAGELATA, Op.Cit, p 137-138.

(37) يحيى، جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ج4، ص 224.

المحاكم إلى محاكم بلدية يرأسها قضاة عظام. وفرض على ذوي الامتيازات حلف اليمين وعُدّوا، هم أيضاً، موظفين ملكيين[38].

ج-نائب الملك:

كانت هناك شخصية واحدة، هي نائب الملك، يعينها الملك، وتمثله وتهيمن على شؤون الحرب والسلم والأرواح، وكان نائب الملك يعين كبار الموظفين، ويشرف على الاقتصاد والمالية، ويلاحظ الكنيسة، أو يراقبها[39]. كان أول نائب للملك (أنطونيو دي مندوزا)، مركيز موندخار الذي عُيِّن في عام 1529م، ووصل إلى مكسيكو في عام 1535م،. ثم عين نائب ملك آخر في ليما في عام 1542م[40].

كان كل نائب ملك يُسَمَّى من قبل العرش الملكي يجب عليه التوجه مباشرة إلى نيابته في أمريكا ودون مرافقة عائلته أو زوجته، ويجب عليه، حسب مرسوم تعيينه، نشر الديانة الكاثوليكية وإدارة شؤون نيابته، ويحكم ويشرف على شؤون القضاء، وخلال الحرب يكون هو القائد العام للقوات البرية والبحرية، كما يجب أن تطاع أوامره كما لو أنها صادرة عن الملك ذاته[41]. لكن في الواقع كانت سلطته تتقلص وتصبح أقل بكثير مما منحه الملك وأحياناً كثيرة تتجاوز الصلاحيات الممنوحة له من قبل الإدارة الأم. ومع قرب نهاية الحكم الإسباني، ومع وجود عدد من الملوك الإسبان الذين أثبتوا عدم كفاءتهم في إدارة شؤون البلاد والمستعمرات، نستطيع أن نجد عدداً من الطغاة والانتهازيين الذين استغلوا مناصبهم وتسلطوا في دوائرهم ومناطقهم[42].

(38) كروزيه، موريس: تاريخ الحضارات العام، ج4، ص 505.

(39) يحيى، جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ج4، ص 224.

(40) كروزيه، موريس: تاريخ الحضارات العام ، ج4، ص 505.

(41) Manuel de AMAT Y JUNIENT, Memoria de Gobierno, Edición y estudio preliminar de Vicente Rodríguez Casado y Florentino Pérez Embid, Sevilla, Escuela de Estudios Hispanoamericanos, 1947, 2p, cap 1, f. 60v-f. 61.

(42) Hugo D. BARAGELATA, Op.Cit, p 134.

وبشكل عام، كانت سلطات نائب الملك واختصاصاته محدودة، خاصة وأن البلاط كان يخشاه، فَقُيِّدَ تعيينه بمدة ثلاث سنوات، وأجبره بعدها على البقاء في المستعمرة مدة ستة أشهر، حتى يسمح لكل من يعارضه أو يطالبه بشيء، أن يتقدم ضده بما يرغب. وفي الوقت نفسه، أعطى الملك لأعضاء المجالس حق مخاطبة البلاط رأساً[43]. وخضع نائب الملك في نهاية مدة إدارته إلى تقييم شامل لعمله في المجالات كلّها أمام محكمة خاصة تسمى محكمة الإقامة.

وقد راوح راتب نائب الملك بين 40 و60 ألف بيزيتا سنوياً[44]. أمَّا في المستعمرات الأقل شأناً فقد كان يُعَيَّنُ قادة عاميون، يحلون محل نائب الملك في تمثيل السلطة الإسبانية[45].

د- الحكام والمديرون:

كان الملك يقوم بتعيين الحكام والمديرين الذين كانوا يطالبون بعدم ممارسة أي نوع من الأعمال إلى جانب مناصبهم، وعدم قبول الرشوة من مرؤوسيهم، وأيضاً معاملة الهنود معاملة حسنة، كما يجب عليهم دفع مبلغ من المال قبل توليهم منصبهم، وهو نوع من الضمانة لتنفيذ التعليمات الواردة في خطاب تعيينهم، وكانوا يستعيدون هذه الضمانة في نهاية مدة حكمهم، وبعد الخضوع لمحكمة الإقامة.

وعُيِّنَ هؤلاء الحكام ليحلوا محل رؤساء البلديات الذين كانوا من القادة العسكريين في المرحلة الأولى من الاستعمار، والذين كانوا يديرون العمليات العسكرية على الأرض، ويمارسون السلطة الإدارية والمالية، والأشغال العامة، وإنشاء المدن.

(43) يحيى، جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، ج4، ص 224.
(44) Manuel de AMAT Y JUNIENT, Op.Cit., f. 61.
(45) Hugo D. BARAGELATA, Op.Cit, p 134.

وقد طلب من هؤلاء الحكام والمديرين، أسوة بنواب الملك، نشر الديانة الكاثوليكية والأخلاق الحسنة (بحسب وجهة النظر الإسبانية) في مقاطعاتهم[46].

هـ- الزوار والمفتشون ومحاكم الإقامة:

لأن التاج كان يغار على سلطته ويخاف من أن يحاول ممثلوه الاستقلال يوماً ما، لذلك كان يرسل زواراً ومفتشين[47]، كان من الواضح أن مهمتهم هي العمل على تحقيق أفضل إدارة، لكنهم في الحقيقة كانوا أعيناً وآذاناً للملك. إذ إنهم كانوا يقومون بالتفتيش على مختلف أقاليم الامبراطورية، وكانوا يتبعون للملك مباشرة[48].

وكانوا مثل غيرهم من الممثلين الملكيين، يجب عليهم دفع ضمانة، وعدم الزواج أو الدخول في شراكة في مقر إقامتهم. وتمثلت مهمتهم الرئيسة في الحكم في المنازعات الجنائية والمدنية التي قد تنشأ في المقاطعات المحلية. بشرط ألا تخالف هذه الأحكام تعاليم الكنيسة الكاثوليكية. كما أُخضِعَ الهنود لسلطتهم.

وتجلت مهمة المندوبين بما يخص الهنود بالحفاظ على تقاليدهم وعاداتهم والإشراف على عملهم، وتحديد الأجور المناسبة لهم مقابل عملهم بالأرض التابعة لهم[49].

فضلاً عن ذلك، أصدرت الأوامر بأنه في نهاية التفتيش الإداري يخضع نائب الملك وباقي سلطاته لتفتيشهم، وهذا ما يعرف باسم (محكمة الإقامة)، وهو يعني أن يقوم قاض خاص بالتحقيق في العمل الذي قام به نائب الملك أو العامل، وبذلك

(46) Ibid, p 134-135.
(47) Manfred KOSSAK, Walter MARKOV, L'Espagne Et Son Empire D'Amérique, Traduit Marcal David et Charles Minguet, Paris 1972, p77.
(48) كروزيه، موريس: المرجع نفسه، ج4، ص 505.
(49) Hugo D. BARAGELATA, Op.Cit, p 135

يتحقق من شرعية أعماله. ونتيجة لذلك، فقد أُرسِلَ كولومبس مكبلاً بالأغلال إلى إسبانيا[50]. كما اضطر كورتيس لأن ينيخ عنقه لتحقيق قضاة الإقامة عام 1526م[51].

ومما سبق، ورغم كون المحاكم الملكية العليا دليلاً على حكمة قوانين الهند ومركزيتها، فإن الممارسة العملية لم تأتِ ثمارها كما تمنى المشرعون. فقد حدث كثير من التجاوزات وبشكل خاص بما يتعلق بالشخصيات المهمة أو الخطيرة في المستعمرات. فالقانون لم يطبق في الكثير من الحالات، إذا كان متعلقاً بهذه الشخصيات. كما فعل أحد كبار الفاتحين عندما وصله أمر خطي من الملك، إذ أطلق مقولة شهيرة أصبحت شعبية بعد مدة قصيرة "نحن نحترم القانون لكننا **لا** نطبقه"[52].

وقد سار هذا النظام بدقة عجيبة، خاصة إذا نظرنا إلى السرعة اللازمة لتقرير الأمور، وإلى اتساع الامبراطورية، لكنه كان يتسبب في بعض التضارب بين السلطات، كما تسبب في بعض الأخطاء الواضحة، وكان أكبر خطأ فيه أنه قد وضع عن طريق الإسبان، وللإسبانيين. كما لو كانت أمريكا إحدى المقاطعات الأيبيرية، وكما لو كانت لا يسكنها ملايين السكان الأصليين (الهنود الحمر).

كان وجود الهنود حقيقة واقعة، وكان من واجب الإسبان أن يحسبوا حساب هؤلاء الملايين، الذين كانت لهم عقائدهم الدينية الخاصة وتقاليدهم وطرائق معيشتهم، لكن أغلب المستعمرين الإسبان كانوا لا ينظرون إلى الهنود الحمر إلا نظرتهم إلى المتوحشين آكلي لحوم البشر، نظرتهم إلى شعوب تفضل العيش عراة، شعوب بأكملها من المخادعين الكذابين الخائنين، من السكارى القساة الكسولين، شعوب لا تستحق أن تدخل في المسيحية يوماً من الأيام[53].

---

(50) رودريجث، أوخينيو تشانج: المرجع نفسه، ص 110.

(51) كروزيه، موريس: المرجع نفسه، ج4، ص 505.

(52) Hugo D. BARAGELATA, Op.Cit, p 137.

(53) يحيى، جلال: المرجع نفسه، ج4، ص 225.

خاتمة:

إن أي غزو لابدَّ أن يترك آثاره السلبية على الشعوب التي خضعت لوطأته، وبالنسبة إلى الغزو الإسباني فإنه لم يكن استثناءً عن القاعدة. فقد تغير العالم الجديد باصطدامه مع المؤسسات الإسبانية القديمة، سواء بعيوبها، أو ميّزاتها. والمساوئ الإيبيرية انتشرت في أمريكا، بل وأحياناً كانت تزيد وتتعدد وينجم عنها مساوئ أخرى، إذْ أتى إلى العالم الجديد مع قوارب عصر النهضة مؤسسات تعود إلى القرون الوسطى.

إن مذهب الفردية أو الأنانية الإيبيرية الذي استقر في أمريكا، والذي أدى إلى عدم نظام المكتشفين والغزاة في أمريكا اللاتينية قد وجه مجرى تاريخها إلى طرائق العنف والثورة والفوضوية والحروب الأهلية. وقد تحول الصراع التقليدي في شبه الجزيرة الإيبيرية بين النعرة الإقليمية والمركزية الإدارية في أمريكا إلى صراع بين القوى التي تميل إلى المركزية، وبين القوى الأخرى التي كانت تبتعد عنها وترفضها وأحياناً، كانت تعطيه وحدة وتماسكاً، وأحياناً أخرى كانت تفتته إلى ذرات وتنقسم وتتشتت.

إن الفكرة الأفلاطونية القديمة التي كانت تقول بأن البعض قد وُلد ليحكم والبعض الآخر قد ولد ليكون محكوماً، تعرضت للهزيمة في أمريكا حينما انحطت السلطات وتحولت إلى إداريين غير مؤهلين. إذْ أفسدتهم محاباة الأقارب والنفوذ والمفاهيم الكاذبة لدور الكنيسة ورجال الدين. ولمّا كان السيف قد عاونه الصليب، فإن الغزو وقد تحقق خلال النصف الأول من القرن الأول للاستعمار. كان يأتي مع الحملات التي غزت أمريكا جنوداً ورهباناً بشكل أساسي الأمر الذي جعل تاريخ أمريكا اللاحق يحمل هذين الشعارين: العسكري والديني. وأحياناً كان رجال الكنيسة يتعاركون مع العسكريين، ومع ذلك فإنهما كانا يتحدان أحياناً ضد القوى السياسية الجديدة وكذلك لكي يساندا الملك؛ وذلك حينما يطلب ويحصل من الفاتيكان على حق الدعاية الملكية: بمعنى السيطرة على تعيين السلطات الكنائسية في إسبانيا ومستعمراتها[54].

54 رودريجث، أوخينيو تشانج: المرجع نفسه، ص 119-120.

المصادر والمراجع

أولاً- المراجع العربية

1. تشومسكي، نعوم: 501 عام الغزو مستمر، دار المدى، طبعة ثانية، دمشق 1999.
2. رودريجث، أوخينيو تشانج: ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية، ترجمة عبد الحميد
3. الغلاب وأحمد حشاد، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة 1997.
4. كروزيه، موريس :تاريخ الحضارات العام، الجزء الرابع (*القرن السادس عشر والسابع عشر*)، *تأليف رولان* موسنييه ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط2، 1987.
5. كولومبوس: بداية الحلم أم ذروة المأساة، دراسة مركز أبحاث مجلة العربي (مجلة العربي، العدد 400، آذار 1992، ص ص 144-156).
6. محلي،ساطع:أمريكا اللاتينية، مطبعة خالد بن الوليد، دمشق 1974.
7. مورينو، سيزار فرناندث: أدب أمريكا اللاتينية قضايا ومشكلات، ترجمة أحمد حسان عبد الواحد، سلسلة عالم المعرفة، قسمين، القسم الأول، العدد 166، آب 1987.
8. يحيى، جلال: التاريخ الأوربي الحديث والمعاصر، سيطرة أوروبا على العالم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، د. ت.، ج4.

ثانياً- الأجنبية:

1. A H N: Archivo Histórico Nacional, Madrid, leg. 20343, Exp. 3/159.
2. Manuel de AMAT Y JUNIENT, Memoria de Gobierno, Edición y estudio preliminar de Vicente Rodríguez Casado y Florentino Pérez Embid, Sevilla, Escuela de Estudios Hispanoamericanos, 1947
3. Hugo D. BARAGELATA, Histoire De L'Amérique Espagnole, Avec 2 cartes dans le texte, Librairie Armand Colin 103, Boulevard Saint-Michel, Paris 1936.

4. Pierre CHAUNU, Histoire de l'Amérique Latine, Dixième édition corrigée, Paris 1988.
5. Manfred KOSSAK, Walter MARKOV, L'Espagne Et Son Empire D'Amérique, Traduit Marcal David et Charles Minguet, Paris 1970.
6. ----------, voyage en Araucanie, au chili au Pérou et dans la Colombie, ou relation historique et descriptive d'un séjour de vingt ans dans l'Amérique du sud suivie d'un précis des révolutions des colonies espagnoles de l'Amérique du sud, traduite de l'anglais de w. b. STEVENSON; par setier, tome I., paris, 1828.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2011/7/30.